على هامش كتاب :

سعد زغلول من أقضيته

« إلى القانوني الأديب الأستاذ عبده حسن الزيات تحية شكري وإعجابي »

للأستاذ عدنان الخطيب

(تتمة ما نشر في العددين السابقين)

٩ — المعيار الخلقي :

(كان معيار سعد الخلق صارما) فقد كان يصدر أحكاماً تدل على هذا المعيار الصارم ، وتدل على رغبته في سيادة مكارم الأخلاق على علاقات الناس ببعضهم ، ولم يكن القانون عنده إلا في المنزلة الثانية بعد الإخلاق ، وهو القائل (إن كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهي شريعة باطلة) .

أسمع قوله في حكم من أحكامه (... إن هذا يعد من قبيل خيانة الأمانة ، المعاقب عليها قانونا) ولا شك أن (الإحساس الخلقي والالتفات الاجتماعي هما اللذان يوجهان سعداً إلى ناحية «الذمة» وقد كان غنياً عن الاجتماع بها اكتفاء بكون العمل « معاقباً عليه قانونا ») وسعد في أحكامه جميعها (لا يصور لنا الناحية الخلقية — فحسب — ولكنه يجمع بينها وبين المنفعة الاجتماعية) لا بل هو يريد (أن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون) .

إن سعداً كان الرجل الفذ ، الذي لا يعرف إلا الحق ، والذي لا يخاف فيه لومة لائم ، هو الرجل الذي يقدم الحق ويتبعه بقوله (هذا اعتقادي ، وقد عاهدت الله أن أقول ما في ضميري ، وهذه لذتي في حياتي) .

سعد الأديب :

لقد كان سعد أديباً من الطراز الأول ، أديباً يحمل بين جوانحه نفسية الأديب ، ثم أضاف إليها ثقافة وميزات أدبية عظيمة ، تلمح الإشارة إليها ، وتعداد بعضها في كتاب الأستاذ الزيات ، منثورة هنا وهناك ، خلال دراسته لأحكام صدرت عن القضاء الأهلي في مصر ، يوم كان سعد قاضياً من قضاته ؛ إن قرأتها فسوف (تقطع في غير تردد أو تحفظ بأنها أحكام سعد لحمة وسدى ، ودماً ولحماً ، وفكراً وأداء ، المنطق الجبار الآسر ، والحجة الوثابة تقفز — كجند يلتف — لتقطع الطريق على المناظر ؛ واللفظ المشرق في تركيب مصقول ، والإداء المحكم لا يشتكي قصر منه ولا طول ... وهذه التعبيرات المقبوسة من علم المنطق .. وهذا الجمال البياني الذي يستقيم على الطبع ، فلا تشعر فيه بالآم النحت والسجع ، وعناء « الفاعل » المتصبب تحت نير المحور ، يحمل نفسه فوق ما يطيق ، ليزهو بحمله ويسعد أذنيه المفرورتين بكلمة من النظارة قد تكون غباء ، وقد تكون رياء ، أوقد تساق تهكما ، أو قد تساق رثاء) .

أما من يحب سماع صوت سعد فليقرأ أحكامه ليسمع (صوت الكاتب صاحب الأسلوب القوي الآسر) وأنا زعيم أنه ، وإن جهل صاحبها ، سيحكم ، إن كان يعرف سعداً ، إنها من بنانه (فإن شمائله ظاهرة فيها ظهوراً قوياً : منطق قوي يعتمد على قياس المشابهة وقياس الأولوية ... وصياغة عربية تضامنت أجزاؤها) ، لينظر في هذه الأحكام من يجب أن يعرف سعداً ليرى (أسلوبه المتأنق ، وبلاغته المخزونة) بل ليرى (ذوقه السليم) ليرى (وضوح الديباجة ونصاعة الأداء) (الأداء العربي ... والأسلوب المحكم الدقيق) ليقرأ تلك الحيثيات التي خط الأستاذ الزيات تحتها فإنها (تكشف عن قوة العارضة في الجدال) حيناً ، وتكشف عن (روح سعد النهكمة وسخريته الحلوة حين تطمئن نفسه) أحياناً أخرى ؛ إنها حيثيات (حكم مسهب ، قوي التسبيب ، محكم التقسيم) .

ليقرأ معي ، من يحب أن يعرف سعداً الأديب ، هذه الفقرة (إنهن وارثات ضعيفات ، وإنها ابنية حقير أشتات ، والدائنون

تجار أخشاب ، يخيل الثراء في أوصافهم) ولا شك أنك أيها القارئ لما ألممت منها ، ومنها وحدها ، بموضوع الدعوى ، وأهم الدفوع فيها ، وتجلت لك فيها روح الحاكم وقناعته ، بل ما سيحكم به عقبها إنها فقرة كتبها أديب عظيم ، لقد صور لنا في كلماتها القليلة العدد قضية لا يستهان بعدد صفحاتها وأهميتها ، ألا تعتقد معي ، أيها القارئ الكريم ، إن كاتبها (مخرج بارع دقيق) ؟! عد إلى قراءتها ، واقرأ ما قبلها وما بعدها من فقرات (فسترى فكراً واحداً ينتظمها كلها ، ونظراً واحداً يشيع بينها طمأنينة الانسجام . إنها نغمة تضطرد في غير نشاز ، نغمة بغيضة إلى أولئك الذين يأكلون في بطونهم ناراً وسعيراً ، حبيبة إلى أولئك الصبية الضعاف وإلى الشادين بالعدل والراعين للحقوق)

إن الأديب عند سعد غير غريب عن معدنه ، إنه ماء عذب يسيل من منبع صاف فياض ، إن سعداً إن كتب أو خطب يكتب ويخطب (وكأنه يتمثل « النهج » الذي طالما نهل من بلاغته) وليس بعد بلاغة « النهج » من بلاغة !!

إعجاب ونفر :

كنت أنكر وأنا أقرأ كتاب « سعد » في التعليق على بعض ما أعجبني فيه ، وعلى ما استلفت نظري من « تعليقات » الأستاذ الزيات الطريفة ، ولكن إعجابي بالكتاب وبجهد مؤلفه الجبار ، جعلني أترك ما أزمعت عليه ، أتقدم من قراء « الرسالة » بهذه الخلاصة ، فإن وجدوا فيها متعة فهي قبس من بيان صديق الأستاذ الزيات ورشل من فيض أدبه الرفيع ، وإن أنكروا منها شيئاً ، فهي لآلىء حاولت جمعها من كتاب سعد ، وعلى وحدتي تبعة سوء صياغتها التي تعجب المتفرجين والناقدين .

وإني لا أود أن أنهي هذه الكلمة قبل إبداء بعض الملاحظات التي مرت بخاطري وأنا أقرأ الكتاب ؛ فالكتاب ينقصه « فهرس » لا للأعلام ، ولا للأحكام التي فيه لمعرفة دوائرها وتواريخ صدورها ، بل « فهرس » يدلنا ، على الأقل ، على صفحات الفصول التسعة المقسم إليها الكتاب ؛ وفي الكتاب نقص آخر وإنه لنقص في نظري عظيم ، فقد خلا من موجز لسيرة سعد ، إذ لو وجدت فيه لكانت عوناً كبيراً يرسم صورة سعد في مخيلة كل قارىء ، بل لكانت رشداً يعين القارىء على تتبع حياة سعد في القضاء ، وتواريخ تنقله بين دوائره العديدة ، وعلى معرفة زمن دراسته للقانون ، وتاريخ أجازته ومدة تماطيه المحاماة ، وتاريخ تركه للقضاء وسببه ، وهذه أمور لها قيمتها ، في تاريخ سعد بتتبع أحكامه القضائية ، ورسم مناهج لدراستها دراسة لا تختلط اختلاط بعضها في بعض فصول الكتاب !

وليست هذه الملاحظات بمؤثرة على إعجابي وتقديري ، ولا يعيب الحكم — كما يقول سعد — إلا يتضمن الإشارة إلى ما كان يحسن به أن يشير إليه ، والثوب المتقن البديع لا يعيب لابسه ، إن تقصته جيوب ، ولو اتفق على أن الجيوب تزيد في كماله وجماله على من فيه .

(حمص) عمر بهاء الخطيب

إعـــلان

يعلن مجلس مديرية القليوبية عن حاجته إلى وظيفة كاتب بإدارة المجلس بينها على أن يكون من الحاصلين على شهادة إتمام الدراسة الثانوية قسم ثان أو التجارة المتوسطة أو شهادة إتمام الدراسة الثانوية قسم أول (ثقافة) .

فعلى من يرغب في التعيين أن يقدم طلباً باسم سعادة رئيس المجلس على استمارة ١٦٧ ع . ح وتحدد يوم ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٨ آخر موعد لتقديم الطلبات ومن يقع عليه الاختيار يعين في الدرجة الثامنة الكتابية — وإذا كان مستخدماً بالحكومة ولا تبيح اللوائح منحه الدرجة والماهية فلا يكسبه هـــذا الإعلان الحق فيهما ٩٦٠٦